تقدير موقف

عوامل التحول في التموضع المصري

26 تشرين2 2020

تشهد مصر ديناميكية خطيرة بسبب الأزمات المتواترة في مختلف الساحات، مما يخلق تهديدًا معقدًا ومتعدد الأبعاد لأمنها القومي: هزيمة عسكرية محتملة في الحرب بالوكالة في ليبيا وتزايد النفوذ التركي في الساحة الاقليمية،وتحركات إثيوبيا أحادية الجانب في أزمة سد النهضة والتداعيات المباشرة على الاقتصاد المائي المصري،ووباء كوفيد -19 والعلامات المقلقة لأزمة اقتصادية ناشئة على نطاق واسع. ستكون طريقة تعامل مصر مع هذه التهديدات بمثابة اختبار للحكومة والرئيس أمام الرأي العام، ولكنها تحدي ايضا للمؤسسات السياسية والأمنية. انّ الفشل المصحوب بالإضرار بصورة مصر وأمنها القومي قد يقوض مكانة الرئيس ويؤدي إلى مزيد من الاضطرابات الداخلية. يلوح في الأفق تهديد محتمل للاستقرار المصري ، في ضوء شدة وتعقيد التحديات والروابط بينها.

1-على المستوى الداخلي:

- **الوضع الاقتصادي**

بالنظر الى مصر كدولة ذات أهمية في المنطقة، ولكونها من الدول العربية التي تملك المقومات والمؤهلات التي كانت تسمح لها بالتقدم والنمو الاقتصاديين. وبمراجعة علمية ودقيقة لأرقام النمو والتنمية، وأوضاع القطاعات الاقتصادية فيها، يبرز التدهور المالي والاقتصادي والآثار السلبية التي خلفها الاتجاه غرباً من قبلها، في الوقت الذي كانت المنفعة تصب في صالح الكيان الصهيوني . تشير دراسة بعنوان الاقتصاد المصري في ظل السلام مع الكيان الإسرائيلي الى أن مصر خسرت مردودها المتوقع من النفط والغاز طوال عقود خلت، حيث عمد الكيان الى استيراد منتجاتها النفطية بسعر بخس وحرمت مصر من ذلك المدخول الكبير، الى أن انتهى الأمر بالكيان الصهيوني بالتحول من مستورد من مصر الى مصدّر لها. وفقدت مصر على اثر ذلك تميزها كدولة منتجة وأصبحت الخاسر الأكبر في صفقة السلام المزعوم الذي كانت ذرائعه اقتصادية بالدرجة الأولى.

- **الصراع على الجيش**

في ظل متغيرات تمر بها مصر داخليا واقليميا، ظهر صراع نفوذ على السلطة بين ممثلي المؤسسة العسكرية المنخرطين بشكل مباشر في اللعبة السياسية وبين اقطاب الاقتصاد ولوبيات المال والاعمال. وبدأ على هذا الاساس التصويب على الجيش المصري واستهدافه من خلال تقييم سياسته وادارته للحكم والسلطة، اضافة الى ادارته الاقتصادية والتنفيذية. يبدو ان الهدف الى حد الان، هو محاولة تقييم للتجربة السياسية الحالية خاصة منذ تولي الجيش السلطة، وهي ليست دليلا على تخلي امريكي عن المؤسسة العسكرية المصرية وانما محاولة لتسليط الضوء على النقاط السلبية في هذه السياسات المعتمدة والتي قد تشكل تهديدا للمصالح الامريكية اذا لم يقع اصلاحها او بالحد الادنى ترميمها. في دراسة بعنوان " الوضعية السياسية للجيش المصري" يشير انطوني كوردزمان أنّه،" لا يبدو أن هناك أي مؤشرات واضحة على حدوث انقطاع قادم بين

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

الولايات المتحدة ومصر، ولكن هناك تحذير واضح من أن توفير كميات كبيرة من الأسلحة وأشكال أخرى من المساعدة العسكرية قد لا يمنح المورد نفوذاً كبيراً على المتلقي، وإن استخدام كلمة "شريك" في عبارة "شريك استراتيجي" يمكن أن يعني أنّ الشريك لا يستوعب دائما المطلوب منه.

يبدو واضحا أن مرحلة حكم العسكر في مصر هي مرحلة دقيقة ومعقدة وان تقييمها سياسيا واقتصاديا وامنيا ليس سهلا، حيث عملت بعض مراكز الدراسات على تقييم المرحلة سياسيا واقتصاديا، والكشف عن فشل الجيش المصري في ادارة السياسات الاقتصادية وتداعياته على البلاد. كما اشارت الى عدم قدرة المؤسسة العسكرية على التأقلم مع المتغيرات داخليا واقليميا ودوليا بسبب الصراع على النفوذ وتقاسم المصالح داخليا وتورط بعض القيادات في قضايا فساد مالي. يبدو أن هناك محاولة لتفعيل القطيعة بين مؤسسة الحكم والجيش والقول بأن الجيش خلق ليبقى في الثكنات ولحماية امن البلد وليس للحكم وادارة السلطة. قد يفسر هذا الامر بأنّ هناك رغبة بالضغط باتجاه وضع سياسات تحد من سلطة الجيش السياسية وتفكك مؤسساته وتضعفه وتنهكه وتستنزف قدراته في معارك هامشية بعنوان الاتهامات بالفشل في السياسة او الفساد او حتى بمعارك محاربة الارهاب.

- **الموقف الشعبي من التطبيع مع إسرائيل**

حاول النظام الرسمي المصري تقديم تبريرات لسياسة التطبيع مع إسرائيل وفقا للظروف السياسية والاستراتيجية التي عقدت فيها اتفاقية كامب ديفيد والتي يبدو أن تداعياتها لم تكن إيجابية كما كان متوقعا. فعلى الرغم من تطبيع المنظومة السياسية المصرية مع الكيان الا ان المحاولات قوبلت برفض شعبي مستمر وثابت. في مقال بعنوان سعي مصر لشرعنة سلامها مع اسرائيل اسلاميا، حيث يعتبر **أوفير وينتر** أن استمرارَ السلام حتى اليوم ونجاتَه رغم التحديات هو "نجاح مثير للإعجاب"، مشيراً إلى أنه "أصبح مكوناً أساسياً ذا أهمية استراتيجية في الشرق."

يشكّل الموقف الشعبي الرافض للتطبيع على الرغم من كل السياسات التي انتهجتها القيادة المصرية، توجها مهما وضاغطا وله تداعيات كبيرة على مستقبل العلاقات مع الكيان الصهيوني ومؤثرا بشكل واضحا على سياسات الهيمنة والتمدد التي ينتهجها.

2-على المستوى الخارجي:

- **العلاقة مع إسرائيل**

مرت العلاقة المصرية الاسرائيلية بمراحل تاريخية وسياسية مختلفة، فعلى الرغم من محاولات النظام اتخاذات سياسات تطبيع علني الا أنها لم تحظى بنتائج مهمة وفاعلة كما كان متوقعا. لم يخدم التطبيع منذ اتفاقية كامب ديفيد في عهدة

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

السادات الى اليوم مصلحة مصر ومنظومتها السياسية والاقتصادية والامنية، بل على العكس تماما، خسرت مصر الكثير على المستوى السياسي والاقتصادي والاستراتيجي. حاول النظام تأطير عملية السلام مع اسرائيل رسميا على أنه خيار اسلامي قائم على القيمة، مصنوع من موقع القوة وليس بالضرورة على اساس العجز العسكري أو السياسي أو الاقتصادي. ساعدت مبررات السلام القيادة المصرية حينها على مواجهة تحديات مختلفة ، من خلال المحاجة في عمق المفاهيم الاسلامية المتجذرة ضد السلام مع اسرائيل والتي زرعها النظام نفسه لعقود، كما اشارت دراسة بعنوان "سعي مصر لشرعنة سلامها مع اسرائيل اسلاميا".

لكن يبدو جليّا أن عملية السلام الكامل لم تتم بعد، يشير عاموس جلعاد في محاضرة نشرها مركز موشي دايان لدراسات الشرق الاوسط وافريقيا بتاريخ 2019/12/9 بأنّ "الى اليوم ليس هناك تطبيع مع المصريين....أستطيع القول بأن جميع القيادات الامنية في مصر محبطون من الملحق الامني لاتفاقية كامب ديفيد... لقد دخلت قوات امنية الى سيناء ليس فقط لملاحقة الارهابيين وانما من اجل خرق الاتفاقية...".

- **العلاقة مع الامارات بعد اعلان التطبيع**

شهدت الفترة الاخيرة العديد من الشواهد التي تظهر القلق المصري من اعلان الامارات التطبيع مع اسرائيل، ومن أهمها شواهد اسرائيلية تمثلت بتشبيه نتنياهو للاتفاق مع الامارات بأنه لا يقل اهمية عن اتفاق السلام مع مصر. وكذلك حديث اسحاق ليفانون، السفير الاسرائيلي السابق في مصر، عن خشيتها من فوز ابو ظبي بمكانة متقدمة في تل ابيب أكثر منها، ومزاعم المستشرق الاسرائيلي تسفي بارئيل أن السيسي يخشى أن يسرق بن زايد التاج الاسرائيلي منه، وأن ينقل التطبيع الاماراتي مركز الاهتمام الاقليمي من القاهرة لابو ظبي، فيما أكد معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى أن السيسي قلق من اتفاق الامارات خشية ابعاده كمحاور اساسي مع اسرائيل. أما ران أدليست الصحفي الاسرائيلي فاعتبر أن اتفاق الامارات يضع السيسي في مشكلة، بسبب التزامه بالقضية الفلسطينية، الذي يتطلب حضور مصر الدائم فيها، وهي تحظى بدعم الشعب المصري، لكن اتفاق الامارات قد يحرمها من هذه الورقة، فيما زعم رئيس الموساد السابق شبتاي شافيت أن اتفاق الامارات هو اهم من السلام مع مصر.

- **مواجهة تركيا والصراع حول ليبيا وشرق المتوسط**

دخلت مصر على خط الصراع والمواجهة مع تركيا في ملفات كثيرة، بداية من اسقاط حكم الاخوان في مصر والرئيس محمد مرسي وتولي العسكر مقاليد السلطة في البلاد وصولا الى الملفات الاقليمية المتعددة وعلى رأسها الملف الليبي وازمة شرق المتوسط. بدا الطرفان على حافة المواجهة العسكرية بعد التحشيد السياسي والعسكري الذي حصل، والخلافات الحادة التي باتت مؤشرا خطيرا على امكانية التصادم الفعلي. الا أنّ قوى اقليمية ودولية اخرى وعلى رأسها الولايات المتحدة

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

وروسيا لعبت دورا كبيرا في محاولة استيعاب هذا الوضع وعدم السماح بالتوترات الحاصلة للانزلاق الى مواجهة عسكرية قد تضخم حالة الارباك والتشتت والقوى التي تعيشها المنطقة. اشادت بعض الاطراف، بالدبلوماسية المصرية، حيث قيل انّ "القيادة المصرية تمسك بخيوط هذه الأزمات، وتديرها بتوازن دبلوماسي وهدوء ووعي سياسي واضح، فلا اندفاع ولا تسرع في مثل هذه الأزمات، فالقرارات تؤخذ بدقة وحكمة متناهية، لأن كل طرف من أطراف هذه الأزمات يريد لمصر أن تتورط، وتتسرع وتندفع في هذا الاتجاه أو ذاك، بينما مصر بكل موروثها التاريخي والحضاري، وخبراتها العسكرية على مر التاريخ، تدرك أن قرارها بيدها وأن توقيت خوض الحروب يجب أن يتحدد وفقاً لمعطيات معينة، لا استجابة لمخططات الاستدراج والاستنزاف." من الواضح أنّ الانزلاق الى موا جهة مع تركيا لن يخدم مصالح الطرفين باي شكل من الاشكال، وأنّ اي امتداد لهذا التشابك قد يؤدي الى حرب اقليمية واسعة سيكون لها ارتدادت خطيرة على المنطقة وشعوبها.

- **العلاقة مع روسيا /الصين**

بدأت مصر بالبحث عن حلفاء اقليميين ودوليين جدد، وهي بذلك تتعامل كدولة محورية في الشرق الاوسط، لها دور اساسي اقليميا ودوليا وتتمتع ببعد استراتيجي هام نظرا للادوات التي تمتلكها جغرافيا وسياسيا وديمغرافيا. بدأت بالتحرك شرقا فمنحت الفرصة للصين، اللاعب الدولي الاساسي، والباحث عن تمدد وانفتاح اقتصادي وجيواستراتيجي في المنطقة فعقدت الاتفاقيات الاقتصادية وفتحت المجال للتعاون المشترك والاستثمار لتحريك عجلة الاقتصاد والبحث عن حلول عملية للخروج من الازمات. كما فعلت الامر نفسه مع روسيا، اللاعب الحاضر في المنطقة والذي بات اليوم محركا اساسيا للعبة الاستراتيجية وللمتغيرات الجيوسياسية في منطقة الشرق الاوسط. يبدو أن مصر استشعرت تراجع الدعم الامريكي وحجم الضغوط التي تفرضها الادارة الامريكية لفرض شروط التحرك والالتزام على النظام والدولة، فبات الذهاب الى حلفاء جدد منافسين لامريكا ويشكلون خطرا على مصالحها في المنطقة، امرا ضروريا تفرضه الظروف السياسية والازمات التي تواجهها مصر كغيرها من دول المنطقة.

- **ازمة سد النهضة**

تبدو أزمة سد النهضة اليوم محاولة لتضييق الخناق على مصر، فالنزاع حول سدّ النهضة نزاعٌ حساسٌ طويل الأمد، ومحتدمٌ منذ عام 2011، كما يشكل افتعال الازمة حول السد اليوم تهديدا وجوديا لمصر وضرورةٌ وجوديةٌ لإثيوبيا. تفتعل القوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة والكيان الصهيوني صراعا قد يؤدي الى مواجهة عسكرية مع اثيوبيا تتورط فيها مصر بسبب سياسة التحشيد التي تنتهجها هذه الاطراف. سيؤدي التلويح بالحرب على اثيوبيا الى تداعيات خطيرة اقتصاديا وعسكريا وسياسيا على مصر وعلى اثيوبيا ودول المنطقة، وسيشكّل ورقة ضغط رابحة وفاعلة لمن يستخدمها باتجاه تعديل أو تغيير بعض موازين القوى. تطرح دراسة بعنوان " الحرب بين مصر واثيوبيا" جملة من الاشكاليات الهامة تتمحور حول

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

"دوافع تصاعد النزاع الان،وإلى أي درجة يعتبر النزاع أولويةً في الإدارة الأمريكية حتى يتابع ترامب المسألة شخصيّا، ويدلي بتصريحٍ اعتبرته إثيوبيا تحريضًا على الحرب بينها وبين مصر، علمًا أن كلا البلدين حليفان استراتيجيان لأمريكا؟ ولماذا جاء التوقيت مع إعلان التطبيع بين رئيسي وزراء الكيان الصهيوني والسودان؟ ومن أراد ترامب أن يحرج بذلك؟ تطول لائحة الأسئلة، ومع اختلافات التحليل ما بين قائل بأنه دعمٌ معنويٌ لمصر، أو ضوءٌ أخضر لضرب السد، أو ورقةٌ انتخابيةٌ جديدةٌ لترامب ...، إلا أن الأكيد أن الانجرار إلى الحرب ليس لصالح مصر أو القارة الأفريقية برمتها، ولا يخدم إلا المصلحة الأمريكية في زمن الانكفاء."

من المؤكد أن تورط مصر في صراع عسكري مع اثيوبيا ستكون له تداعيات خطيرة جدا، ولنه سشكّل خسارة استراتيجية وسياسية واقتصادية كبيرة لمصر قد تلقي بضلالها داخليا لتضع النظام المصري وقيادته السياسية في مأزق سياسي وامني كبير سيكون سببا اضافيا في تحريك الشارع ضد النظام لمحاسبته على الاخطاء والانزلاقات السياسية غير المحسوبة.

خاتمة:

تؤثر العديد من العوامل الداخلية والخارجية على مستوى تغيير تموضع مصر كدولة محورية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، وعلى خياراتها واولوياتها في العلاقات الخارجية. من المؤكد أنّ العوامل الداخلية المتعلقة بالاوضاع الاقتصادية الصعبة بسبب ازمة مكافحة وباء كورونا، والانهيار الاقتصادي والاجتماعي بسبب فشل سياسات الحكومة في حل المشاكل والتعقيدات المختلفة، اضافة الى العوامل الخارجية المتعلقة بالعلاقة مع اسرائيل ومسار التطبيع العربي الخليجي الاخير مع الكيان وتداعياته على الموقع المصري، والتهديدات والتحديات التي تواجهها مصر في المنطقة بسبب انجرارها الى ازمات المنطقة في ليبيا وشرق المتوسط للتصادم مع تركيا او في ازمة سد النهضة وما يمثله من خطورة على الامن القومي الغذائي والمائي المصري، حفّز مصر للتحرك شرقا للبحث عن مخارج لمعالجة الانهيار وتثبيت موطئ قدم في الساحة الاقليمية من خلال البحث عن سبل للاندماج في النظام الاقليمي والدولي المتعدد الاقطاب، لايجاد توازن في علاقاتها الخارجية والاستفادة من قدرات قوى الشرق الفاعلة مع الحفاظ على علاقات وازنة مع الغرب واسرائيل. لكن يبدو أن التحركات المصرية المتعددة الاتجاهات تثير قلقا وتحفظا امريكيا واسرائيليا بات يدفع الى ممارسة الضغوط على القيادة المصرية ومنظمتها العسكرية والامنية والتي يبدو أنها ستتزايد مع ادارة بايدن الجديدة.

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير Union Center for Research and Development